

اللغة العربية لفظاً يجي به بجنانه او يقرب منه ويسهل تميمه وضوعه له واحلوه محله وما لم يجدوا له شيئاً من ذلك عربوه وادخلوه وبعد ما يفرغون من عمل الرضع التعريب يطبعونه ويوزعونه ولا يلبث ان يم استعماله وتشمل فائدته
والأ فاللغة المكتوبة لا ترقى التيار المثلث المنذفع عليها من اللغة المحكية واللغة الفرنسية والانكليزية بمجرد قولنا انها مهبط البلاغة والفصاحة وبجلى الحسن والملاحة وربة الاستعارات والكتبايات وشامة في وجنة اللغات. وان اكنينا بهذا كما هو ظاهر من غارتنا على حضرة القاضي ولمور اصبتها باساءة تمحو كل احساننا اليها. واضعناها من حيث اردنا المحافظة عليها
القاهرة
اسعد داغر

منزلة الشعر من التاريخ

(٢)

جرنا البحث الى امرى و القيس وهو زعيم الشعراء بلا منازع ومليك البلاغة بلا مضارع ومن شعر عبيد يعرف ان ابا امرى و القيس كان ملكاً على اسد وان جدته تدعى ام قطام وانه قصد ملوك غسان مستصراً على عداه. واذا اردنا اثبات ذلك من شعر امرى و القيس وجدنا جميعه مع تفصيل اوضح واتم كما ترى في البيتين التاليين

افرقتا امرى و القيس بن حجر بنو تميم مصابيح الظلام
وانا الذي عرفت معد فضله وتشدت عن حجر ابن ام قطام

قال شارح ديوان امرى و القيس اراد بنشدت رفعت ذكر حجر ابن ام قطام وبديهي ان الولد الخبيث يرفع من ذكر ابيه. فدل قوله على انه ابن حجر ابن ام قطام
واذا اردنا المقابلة بين قولي عبيد وامرى و القيس قلنا

عبيد امرى و القيس

يدعو خصمه مري القيس وهو مصفر امرى و القيس
يقول ان قتيل اسد بدعي حجر ابن ام قطام
يدعو نفسه امراً القيس وهو يتسب الى كندة
يقول ان قتيل قومه من كندة
يقول ان بني اسد قتلوا اباها

فالرجل الذي يتكلم عنه عبيد هو بلا شك امرى القيس الشاعر المشهور. ومن ثم نستنتج ان حجراً كان ملكاً على اسد وانهم خلعوا نيره فكبح جماحهم اولاً ثم شدوا عليه قتلوه وقام

امرؤ القيس يطلب يذره منهم . وأنه لا ذ بالمعرك القسائين . وهذه حقائق تاريخية لا وجه
للرية بصحتها

قلنا ان امرأ القيس يورد نسبة بايضاح واثباته يفتان على ما اوردته عبيد وذلك انه
ينسب اياه الى جده في قوله رايًا اخرته

ألا يا عين بكّي لي شينا وبكّي لي للمعرك الذاهينتا

ملوك من بني حجر بن عمرو بساقوت المشية يقتلونا

ثم انه يذكر جد ابيه الحارث بن عمرو في قوله

أبعد الحارث الملك ابن عمرو له ملك العراق الى عمان

مجاورة بني شمحي بن جرم هوانا ما أتيح من الهوان

وقد اورد اسم امه في قوله

ألا هل أتاه والحواث حمة بأن امرأ القيس ابن تملك يقرأ^(١)

ولنا ان نستدل من قوله هذا ان العرب كانوا لا يأتون من الانتساب الى الامهات بل

كانوا يفتخرون بالانتساب اليهن كما كانوا يفتخرون بالانتباه الى الآباء . قال بشر بن حازم في

امتداح اوس بن حارثة بن لام الطائي (وهو من مشاهير سادات طي ومن كرامتها)

تداركني اوس بن سمدى بنعمه وذلك الذي تومي اليه الاصابع

وقال زهير بن ابي سلى المزني في امتداح هرم بن سنان المزني

لعمرايك ما هرم ابن سلى بلحجي اذا اللوامه لوموا

ولنعد الى بحثنا الاول فنقول ان امرأ القيس اطلق الى ذكر اعمامه واخواله فقال

خالي ابن كبشة قد عرفت مكانه وابو يزيد ورهطه اعماي

وذكر رحلته الى القسائين مما القيصر بقوله

تذكرت اهلي الصالحين وقد ات علي خملا خوص الركاب^(٢) واوجرا

قلما بدا حوران في الآل دونهم نظرت فلم تنظر بعينك منظرا

وخملا واوجر موضعان يستدل من كلامه انه ربهما في سيره من دياره الى حوران .

ثم ينتقل الى صف ناقته قائلا

فدع ذا وسلّ الهمة عنك بحسرة ذمول اذا صام النهار وهجرا^(٣)

(١) يقرئات معان احصاء ملك (٢) انقائرات العيون واحصاء اخرص او خرصاء

(٣) الجسرة الناقة الطويلة والذمول السريعة

وبعد ان يصفها بايات يقول

عليها فتى لم تحمل الارض مثله
هو المنزل الالاف من جونا عطي
ابن بيشاق واوفى واصبر
بني اسد حزناً من الارض او عرا (١)
ولول شاء كان الغزو من ارض حير
ولكنه عمداً الى الروم اتقرا
لقد انكرتني بملكها واهلها
ولا بن جريج كان في حصن انكرا
بكي صاحي لما رأى الدرب دونه
وايقن اننا لاحقان بقيصرا
فكف له لا تبك عينك انما
محاوَل ملكاً او نموت فنعدرا

وهذا الكلام يطابق ما ادعاه عبيد من سقوط دولة امريء القيس واستنصاره
بالفسيين . واختلف بينهما حادث من توهم عبيد ان لحاق خصمه بهم آخر مطلبه اما امرؤ
القيس فأبان ان مطلبه ابد وشقته اقصى حيث قال : ولكن عمداً الى الروم اتقرا
ولنا من هذه الايات ادلة تاريخية نذكر منها

(اولاً) ان العرب عرفوا مدينة بعلبك بهذا الاسم حينما كانت سورية منضوية الى المملكة
الرومانية التي كانت تعرفها رسمياً باسم هيلوبوليس اي مدينة الشمس . وقد ذكر الدكتور لورته
في كتابه سورية اليرم في الصفحين ٦١٢ و ٦١٣ ان اسم بعلبك مشتق من بعل بمعنى الاول
او الاقوى بين الالهة الفينيقيين وهو يضارع اسم زفس عند اليونانيين وجوبتير عند الرومانيين
ويولوس النكلدانيين وملكارت او هراقليس السوريين وقد دعي بعض المرات باسم ساترن
او كسوروس او هليوس اعني الشمس . وفي بابل تكرم له اقدم واشهر معبد فيها وعبد
متخذاً له صورة الشمس اما في لبنان واتسليتان (لبنان الشرقي) فقد كانت عبادته يوج خاص .
وبعلبك مفادها هيكل بل لان بك او ياكى مفادها البيت او الهيكل

وما اورناه يستنج ان هيلوبوليس ترجمة بعلبك الحرفية فيبين الاسمين رابطة معنوية
هي وحدة المفاد ولكن هذه الرابطة ليست كلية حتى نصدق على كل مدينة ذات اسماء متعددة
(ثانياً) من قول امريء القيس " ولا بن جريج كان في حصن انكرا " نستدل على ان
هذه المدينة كانت داخلة في سلطة العرب في عهد تلك الدولة الرومانية سورية بدليل اقامة
رئيس عظيم عليها من العرب وهو ابن جريج . وقولنا برثامة ابن جريج استدلال من ان من
كان ملكاً لا يكون ضيفاً الاً الملك او امير او رئيس ولا ينزل ضيفاً على واحد من غير الناس
ولا سيما اذا كان ذلك الملك مستنصر ملوك كما قال خصمه

(١) الحمن الوعر من الارض

وجموع غسان الملو (م) ك انبيهم وقد انطوتنا
ولو كان المتضاف من زعائف الناس فهل يلبق بملك ان بنوه باسمه ويستكر من تفسيره.
ونستدل ايضاً على ان ابن جريج من سلالة عربية من اسمه او تنويه امرى القيس بقصوره في
مزية الحفاوة بضيفه التي هي اخص مزايها العرب . ومن ان امرء القيس تزبل جموع ملوك
لا تزبل ملك واحد

واذا كان ابن جريج عربياً كما اثبتنا فهو اما ان يكون غسانياً او غير غساني . فان كان
غير غساني فعجب من ان المؤرخين لم يذكروا عن قبيلته شيئاً مع انها تملك او اقامت
في مدينة من اهم مدن القطر الشامي وسما نظرنا بالتعامل على اولئك الافاضل فلا يمكننا
ان نغزو اليهم اهمال حقيقة تاريخية كالتالي نحن في صدها

واذا كان ابن جريج غسانياً فكيف جاز ان يحكم النساويون مثل حمص وهي مدينة قديمة
عظيمة على مقربة منها نهر كبير "نهر العاصي" وارضها غاية في الخصب وهي حصينة جداً فلا
يعاون بها ويتخذون قبة ملكهم قرية صغيرة (٥) اشكل على مجلة المشرق تعيين موقعها فتارة
ترجم انها في غوطة دمشق وطوراً في حوران واخيراً تحتم انها في جزيرة العرب وهذا التدقيق
العجيب الذي يستنتج منه ان غوطة دمشق وحوران وبلاد العرب مكان واحد من الغرائب
التي لم يسمع بها بعد

لكن يا ترى من يسل (عدا مجلة المشرق) بان ملوكاً من اصحاب المدارك الراقية يتخذون
مقرهم في قرية حقيرة يكون فيها مقامهم كقمام شيخ القرى (كذا تقول المشرق) ويسلمون
المدينة الكبيرة الحصينة الى احد اتباعهم فيتمكن هذا التابع من الخروج عليهم بل من الابقاع
بهم متى شاء . أو ليس العقل السليم يحكم انهم ولو اتك تلك المدينة الكبيرة لاتباعهم لانهم اتخذوا
لم مباءتهم مدينة او مدناً اعظم منها وعلى هذا يقضي بنا البحث الى التسليم بان ملوك غسان
استقرؤوا في جلق اعني دمشق وذلك لان دولة بني غسان تمتد (على قول المشرق) "من غوطة
دمشق الى تدمر" وليس في هذا الاقليم مدينة افضل من حمص في السعة والخصب والمنعة
الا دمشق فدمشق عاصمة مملكة النساينين . هذا ما ينتج مع تجاراتنا المشرق في تحديد مملكة
بني غسان مع انه تحديد فاسد وواضح دليل على فساد اجماع المؤرخين على ان جبلة وهي
مدينة على شاطئ البحر بين مدينتي اللاذقية وطرابلس من بناء النساينين فاذن قد اتصلت
مملكتهم بالبحر وهو ما ينكره المشرق بقوله ان مملكتهم تمتد من غوطة دمشق الى تدمر

(ثالثاً) لنا من قول امرئ القيس

” عليها فتي لم تحمّل الارض مثله ابر يميناك واوسني واصيرا “

دليل على ان العرب كانوا يفاخرون بحفظ المواثيق والوفاء بالعهود ويعتبرون الصبر على المشاق من اشرف الفضائل . ومن البديهي ان الميثاق الذي يبرمه ملك او امير يقتضي ان يكون حتماً مع امير او رئيس مطاع وهذا مما يستدل به على ان العرب كانوا على جانب عظيم من المدنية التي يفتخر بها ابناء هذا العصر المشير .
وتقابل يقول اني يكون للقبائل العربية سهم في المدنية وهم في شغل شاغل من ترداد الغزوات وتنازع الغارات واصلاء نيران الخيما على حين نجد المدنية تحول دون ذلك اجيب ان المدنية كانت وما برحت تعتبر الحرب من مستلزمات الحياة فالأمة المصرية كانت في ابان زهورها العلمية مستغرقة جميع قواها في الحروب وقس عليها سواها كالأشورية والفارسية . اما السبرطيون فكانوا يقضون صحابة الحياة كلها بتجندين للقتال . وقد مرّ على اثينا عصر الفلسفة اعني عصر سقراط وپثاغورس وافلاطون وهي مشبكة بالقتال المستمر . وقد رأيت رومية عصر شيشرون وفرجيل ابرج عصورها العلمية وهو عمارة بحروب بيبوس وبوليوس قيصر واقتائوس واغسطس كما يعرف كل ذلك بادنى لحظة في تواريخ تلك الامم الشهيرة . فالحرب لم تكن في عرف المدنية قديماً امراً محرماً او مستهجياً وهي كذلك في عهدنا هذا . واذا رأينا المؤتمرات الدولية تلتئم لسن الشرائع فيما بينها لرفع القتال فذلك لان فن الحرب اصحى منتقاً بعداته الهائلة ولا سيما بعد وضع التجنيد قانوناً مرعي الاجراء ولهذا امسى نشوب القتال عائداً على التجاريين كليهما بالخصائر فضلاً عن ان الحرب تمد الغالب طعمة للمتصدّ فرصة ضعفه فينقض عليه بكل قواه .

(رابعاً) يستخلص من قول امرئ القيس ” هو المنزل الا لان في جوانعاط ... “ ان قبائل العرب المتديبة كانت اذا خشيت من بأس العدو لجأت الى حزن وعمر او لاذت بقنة جبل واقامت هناك حاذرة من مفاجأة الخصم ولذلك لا ينالها مكروه وقد اعرب عن ذلك بوضوح النابغة الذبياني في قوله

وحلت بيوتي في يفاع بمنع
تزل الوعول العصم^(٦) عن قدفاته
بخال به راعي الحمولة طائرا
وتصحي ذراه بالسحاب كوافرا
ولا نوتي حتى يمتم حراثا

(٦) العصم واحدها اعصم الذي في بديو يياض

وكانت تحصن خشية من الضواري ايضاً بدليل قول امرئ القيس
 لعمرى لقوم قد نرى في ديارهم مرابط للامهار والمكر الدثر^(٧)
 احب اليانا من اناس بقة يروح على آثار شائهم النمر^(٨)
 فينجم عن ذلك ان العرب حتى البدو منهم كانوا يأتون الحصن في منازلة الاعداء
 وكانوا يتذرعون به في دفع الطواريء والضواري

واذا كان هذا شأن العرب البدو والحضريون منهم ذوو معاقل وحصون وآطام وبنو غسان
 من هؤلاء فكيف يجوز ان تقول ان ملوكهم اهلوا المواقع الحصينة وسلموها الى حاشيتهم ونزلوا
 هم مكاناً غير حصين اعني قرية حقيرة في منقطع من الديار النائية
 (خامساً) يستدل من قوله "ولو شاء كان الغزو من ارض حمير" ان الدولة

الحميرية كانت في عصور ذات صولة لكنه استنكف من الاستيلاء بها
 وقد سبق لنا القول بان بني اسد قتلوا حميراً والد امرئ القيس فاذا رغبتنا في الوقوف
 على ما كان من امر هذا الشاعر البليغ عند ما بلغه نعي والده استطننا معرفة ذلك من قوله
 أرفق لبرقي بليل اهل يضيء سناه باعلى الجبل
 اتاني حديث فكذبته باسمي تزعزع منه القتال
 يقتل بني اسد ربهم الا كل شيء سواء جلن^(٩)
 فاين ربيعة عن ربهما واين تميم واين الخول
 الا يحضرون لدى بابي كما يحضرون اذا ما بذل

وقال ايضاً

نطاول الليل علينا دون^(١٠) دون أنا معشر ياتون واننا لاهلنا محبوبون
 ونستج من ذلك (اولاً) ان امرأ القيس لما بلغه نعي والده كان في جبل دمون. (ثانياً)
 ان بني كندة قبيلة يمانية (الثالثاً) صحة ادعاء عبدة ان قومه فتكوا بابي امرئ القيس كما صرح
 امرؤ القيس بذلك مراراً كقولہ

يا لهف هند اذ خطن كاهلا القاتلين الملك الخلاص^(١١)

ويصين لنا من هذا البيت ان قاتل حجر من كاهل وهي عشيرة من بني اسد كما سبق لنا

(٧) العكر فوق خمراته من الابل والدثر الكمبر

(٨) الشعاع جمع شاة وهي شر المال عديم كذا يقول شارح ديوان امرئ القيس (١) جمل هنا بمعنى حمير

(١٠) دمون اسم جبل (١١) السيد الشعاع

للقول بذلك. واذا ناسبتنا بين اياته اللامية التي رويناها اي "ارقت لبرق " وقوله
 فلا وايك ابنة العامرية (م) لا يدعي القوم اني افز
 تميم بن مَرٍّ واشياعها وكندة حولي جميعاً صبراً (١٣)
 اذا ركبوا الخليل واستلاموا تخرقت الارض واليوم قر (١٣)
 نستنج ما يأتي (اولاً) ان امرأ القيس كان يجهل عند ما بلغه النعي ان بني تميم مشايعون
 لبني اسد في نذ طاعة ابيه وفي قتله ثم عرف ذلك بعدئذ (ثانياً) ان كندة باسرها تضامت
 حول امرئ القيس لاخذ تاراييه واذا نظرنا الى قوله

تبصر خبلي هل توى من طعائن سوالك نقبا بين حزبي شعبب
 علون بانطاكية فوق عظمة (١٤) بكومة فخل او كجئة بثر (١٥)

كان لنا ان نتخرج من البيت الثاني اموراً منها (اولاً) ان انطاكية كانت في ايام الشاعر
 مشهورة بالنسيج (ثانياً) ان العرب كان لهم علائق تجارية مع مدن القطر الشامي وكانوا
 يعرفون واردات تلك المدن (ثالثاً) ان يثرب كانت في عصر امرئ القيس مشهورة بمنتجاتها
 حتى انه ضرب المثل بها

وفي هذا القدر كفاية من الإلمام بشعر امرئ القيس خاصة وسنستشهد بشيء من
 شعرو في خلال الابحاث العامة . طي اننا لو اردنا ان نجمع كل ما يمكن استنتاجه من شعر
 امير الشعراء مما يُستدل به على حالة من احوال عايش العرب او على ملحة من اقوالهم او
 ملحة من وقائعهم لكان لنا من ذلك رسالة خاصة لا تقل صفحاتها عن عدد صفحات هذه
 الرسالة . ولا يغرب عن القارئ الكريم انني كنت اجتزى ببعض الابحاث من شعرو
 دون الجميع حذراً من الإطالة المخلّة
 امين ظاهر خير الله

(١٣) تميم بدل من الترم والواو في وكنة للخال لا العطف وصبر جمع صابر

(١٤) استلاموا ليسوا اللامة اي الدرع والقر البارد

(١٥) العفة المرط الاحمر او كل ثوب

(١٥) والبعض يضبطونها بالناء بدل الله